منافع الحجّ

(خطبة الجمعة للشّيخ عبد الحق شطّاب بمسجد الشّيخ أحمد حفيظ رحمه الله

اليوم 6 من ذي الحجّة 1434هـ الموافق لـ 11 أكتوبر 2013م)

الخطبة الأولى:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفُسِنا ومن سيِّئات أعمالِنا، من يهدِهِ الله فهو المُهتد، ومن يُضلل فلن تجِد له وليًّا مرشدًا،

أشهد أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريك له، وأشهد أنّ مُحمّدًا عبدُه ورسوله،

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿01﴾ " سورة النّساء.

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿102﴾ " سورة آل عمران.

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿70﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيمًا ﴿71﴾ " سورة الأحزاب.

ألا وإنّ أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ – صلّى الله عليه وآله وسلّم –،

وشرّ الأمور مُحدثاتها، وكلّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلّ بدعةٍ ضلالةٌ، أعاذنا الله من الزّيغ والضّلال،

معاشر الإخوة الكرام، حديثنا في هذه الجمعة المباركة، حديثٌ حول:

منافع الحجّ

بعد أيّامٍ معدودةٍ، نكون في يوم عرفةٍ، والحجّ عرفةٌ، يقف في عرفةٍ كلّ حاجٍّ تختلف ألوانهم وألسنتهم وقارّاتهم، ولكن جمعتهم كلمة (**لا إله إلاّ الله محمّدٌ رسول الله**)، كلمة التّوحيد، قال تعالى:

" **وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿27﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿28﴾** " **سورة الحجّ.**

والمنافع الّتي يشهدها الحجيج كثيرةٌ، فالحجّ قربةٌ وتطهّرٌ وتوبةٌ، ومؤتمرٌ واجتماعٌ للمسلمين، وتجارةٌ وعبادةٌ، وتضرّعٌ وتجديد عهدٍ مع الرّحمٰن.

في موسم الحجّ، ترفرف راية العقيدة الواحدة، راية لا إله إلاّ الله محمّدٌ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، في حين تتوارى في ظلّها فوارق الأجناس والألوان والأوطان، والمراتب والمناصب الإجتماعيّة، يجد المسلمون قوّتهم الّتي غابت عن حياتهم كثيرًا، في

الحجّ يختفي كلّ اهتمامٍ، ولا يبقى إلاّ الإهتمام بعبادة الله تعالى، فلا انشغال بالزّوجة ولا بالأولاد، ولا بالتّجارة ولا براحة البدن.

إنّها قوّة التّجمّع والتّوحد، قوّة التّرابط الحسّيّة لـــ 3 ملايين أو أكثر. إنّ تلك الملايين الواقعة في عرفات لا يقف أحدٌ أمامها، لو فاءت إلى رايتها الواحدة الّتي لا تتعدّد، راية التّوحيد، راية القرآن الكريم وسنّة النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وسلّم.

إنّ المتتبّع لهذه المنافع الّتي قصدها الشّارع العليم في الحجّ ليجدها ذات أهمّيّة كبرى، وخاصّة ما أريد به وحدة صفّ المسلمين، واتّحاد كلمتهم على أعدائهم.

يجتمع المسلمون في عرفات وقد جاءوا من كلّ حدبٍ وصوْبٍ، هذا لونه أصفر وذاك أسود وذاك أبيض، هذا عربيٌّ وذاك أعجميٌّ، هذا أوروبيٌّ وذاك إفريقيٌّ وذاك أسيويٌّ، فرقتهم الأوطان والألوان، وجمعتهم كلمة التّوحيد، كلّهم بلباسٍ واحدٍ، جمعتهم وقفة عرفة.

يسجدون لربٍّ واحدٍ، يتّجهون لقبلةٍ واحدةٍ، قد تلاشت فوارق المال والمناصب واللّون:

" **وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿63﴾** " **سورة الأنفال.**

لارئيس ولا مرؤوس، لا أمير ولا مأمور، لا وزير ولا حاجب.

إنّ العبادات كلّها تدعو إلى الوحدة في الإسلام، فالمسلمون يصومون شهرًا واحدًا، ويتّجهون خمسة مرّاتٍ في اليوم إلى الكعبة.

400 مليون مسلم كلّ يومٍ يتّجهون إلى الكعبة.

لكن وللأسف الشّديد أنّ هذه الوحدة الرّوحيّة، أو قل الجسديّة العاطفيّة ليس لها الأثر المطلوب في حياة المسلمين وشؤونهم، حيث صدق فينا قوله تعالى:

" . . . تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى . . . ﴿14﴾ " **سورة الحشر.**

ذلك أنّ الوحدة الرّوحيّة لا تؤدّي دورها إلاّ إذا كان منهج أولئك الملايين واحدٌ، يلتزمون به ويتّبعون هداه، هنا فقط يصبح البنيان واحدًا متماسكًا، ليس فيه خللٌ.

ففي ظلّ الإسلام وحده يمكن أن تذوب العصبيّات القوميّة، وتذوب الفوارق اللّونيّة واللّغويّة والطّبقيّة. لكنّ المسلمين فضّلوا أن تُبنى حياتهم على غير الوحي الرّبّانيّ، الّذي جمع بين بلال الأسود وصهيب الرّوميّ وسلمان الفارسيّ، فواحدٌ منهم يتمسّك بمذهب ميشال عفلق البعثيّ، وآخرٌ بناصريّة عبد النّاصر، وثالثٌ ببطورانيّة كمال أتاتورك، ورابعٌ بفرعونيّته، وخامسٌ بالبربريّة، حتّى أصبحت حالة الأمّة لا تجتمع، دينهم واحدٌ ولكنّهم متعادين عداوةً كبيرةً، بين كلّ قطرٍ وآخر عداوةٌ، لأنّهم تركوا ما يجمعهم وحرصوا على ما يفرّقهم، وهي المصالح، ولذلك تآكل العراق ولا أحدٌ يتحرّك، وتُبلع كشمير ولا أحدٌ يتحرّك، ويُنتهك المسجد الأقصى ولا أحدٌ يُبالي.

ولقد عجبت لأوروبّا الكافرة الفاجرة، على اختلاف أجناسها، فيها الأنجلوسكسون، وفيها القولوا، وفيها الإغريق والرّومان واللاّتين، كيف استطاعت أن تتّحد على باطلها، في حين يعجز المسلمون أن يتوحّدوا على الحقّ، الّذي أُنْزِلَ لهم من العليّ القدير:

" . . . **وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴿ 40 ﴾** " **سورة النّور.**

أوروبّا وحّدت حدودها على اختلاف مذاهبها من كاثوليك وأورثودكس وبروتستانت، وأنت لِتَذْهَبَ إلى مصر أو تركيا أو الكويت لابدّ لك من تأشيرةٍ، أوروبّا عملتها واحدةٌ، وسياستها الخارجيّة واحدةٌ، واقتصادها واحدٌ، بل ولها جيشٌ موحّدٌ، هل علمتم الآن لماذا هم قوّةٌ؟.

أمّا حال المسلمين، فَحَدِّثْ عن خصوماتهم وخلافاتهم ولا حرجٌ.

قال تعالى:

" **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا . . . ﴿ 103 ﴾** " **سورة آل عمران.**

فهل نُحَقِّق مقاصد العبادات، أم نقف على صُوَرِهَا وأشكالها، دون تحصيل مدلولاتها وأهدافها وحكمها.

01- صبرٌ ولجوءٌ:

معاشر المسلمين، إنّ من أفعال الحجّ السّعي بين الصّفا والمروة، وفي ذلك معنى أنّ الله عزّ وجلّ مُفَرِّجُ الكربات، ومُيَسِّرُ الصّعوبات ومُذَلِّلُ المشاقّ، قال إبراهيم عليه السّلام:

" **وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿80﴾** " **سورة الشّعراء.**

من الّذي فجّر ماء زمزم لأمّ إسماعيل حتّى لا يهلك ابنها وهي في صحراءٍ قاحلةٍ؟.

فالمسلم يلجأ عند حلول المحن وعند ورود المصائب إلى اللّطيف الباسط، المغيث المغني المعزّ، لا إلى الغشّ والخداع والحِيَلِ.

02- توبةٌ ورجوعٌ:

ومن دروس الحجّ، قَوْلُ الحاجّ: (**لبّيك اللّهمّ لبّيك**)، وهو ينتقل من مكانٍ إلى آخر، ومعناها إنّي جئتك مستجيبًا لنداءك، مُمتثِلاً أمرك، واقفًا عند حدودك، عاقدًا العهد في أشرف بقعةٍ على أرضك، وهي بيتك الحرام:

" **إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿96﴾** "

سورة آل عمران.

لبّيك إذا أحللت بي شيئًا، ولبّيك إن حرمت عليّ شيئًا.

03– تقوى ويقينٌ:

في الحجّ تحصيل للتّقوى، قال تعالى:

" **الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴿197﴾** " **سورة البقرة.**

كيف لا يقوى الإيمان وأنت تسير في أرضٍ نزل فيها الوحي والملائكة، ومشى عليها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وعاش فيها الصّحابة الكرام رضوان الله عليهم؟، كيف لا يقوى الإيمان وأنت تطوف حيث طاف رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، والصّحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين.

04– انتصارٌ وتوكّلٌ:

فإذا كان على الصّفا أو المروة، قال: (**لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، . . . لا إله إلاّ الله وحده، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده**).

إنّ الأحزاب اجتمعت على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في الخندق للقضاء على الإسلام، فنصر الله عبده، وهزم الأحزاب وحده، وأنجز وعد نبيّه، قال تعالى:

" **كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿ 21 ﴾** " **سورة المجادلة.**

وكلّما وُجدت طائفةٌ تنقاد لشرع الله وسنّة رسوله، فإن الله ينجز وعده بانتصار المسلمين على اليهود والنّصارى:

" **وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿ 105 ﴾** " **سورة الأنبياء.**

05- تعوّذٌ وحذرٌ:

ومن دروس الحجّ أن يتّخذ المسلم الشّيطان عدوًّا، والشّيطان يدعو المسلم إلى البخل، ويأمر بالفحشاء، ويصدّ عن سبيل الله، ويزيّن الفواحش:

" **الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ . . . ﴿ 268 ﴾** " **سورة البقرة.**

وقد عرض هذا الشّيطان لإبراهيم عليه السّلام في المسعى وفي الجمرات، يريد أن يصدّه عن تنفيذ أمر الله، بذبح ابنه كما جاء في الرّواية الصّحيحة في البخاري ومسلم وغيرهما، فكان إبراهيم يرجمه بالحصى، حتّى جاءه فرج الله:

" وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿ 104 ﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿ 105 ﴾ " **سورة الصّافّات.**

فالمسلم يعلم أنّ الشّيطان لا ينفكّ عن إغواء الإنسان، والعاصم هو الله، بالتزام كتابه وسنّة نبيّه.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنّه هو الغفور الرّحيم.

الخطبة الثّانية:

الحمد لله حمدًا كثيرًا مباركًا، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، أحمده على نعمه، وأشكره على فضله وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله،

معاشر المسلمين،

إنّ العبرة في أحكام الشّريعة، للمقاصد والمعاني لا للمباني والأشكال.

ومن مناسك الحجّ الأضحية، قال تعالى:

" لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿37﴾ " سورة الحجّ.

فليس المقصود ذبحها فقط، لأن الله لا ينال لحومها ولا دماؤها شيئًا لكونه الغنيّ الحميد، وإنّما يناله الإخلاص لله، في تقديم هذا القربان، واحتساب الأجر عنده، والمقصود النّيّة الصّادقة في التزام طاعة الله، والتّقرّب إليه دون سواه بهذا النّسك، وفي ذلك ترغيبٌ على الإخلاص في النّحر، وأن يكون القصد وجه الله، لا فخرًا ولا رياءًا، ولا سمعةً ولا مجرّد عادةٍ، النّاس ذبحت، فأنا أذبح، أو من أجل إدخال الفرح على الأبناء، فليس المراد أكل اللّحم، وإنّما المراد تعظيم شعائر الله، فمن ضحّى فدلّ

فعله على حبّه لله وسنّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وفيه دليلٌ على إيمانه وحبّه للإسلام.

" ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿ 32 ﴾ " **سورة الحجّ.**

ومن عجز فلا لوم عليه، إنّما اللّوم والعتاب والخيبة على من فضّل الإدّخار على التّقرّب إلى الرّحمٰن.

ذلك لأنّ بعض النّاس يعتذر بقوله: (**والله فيه تحرحيرة**)، والآخر ينتظر مجيء الأضحية، فيروح يخيّر أبناءه بين الأضحية وبين أن يشتري لهم تلفاز من النّوع الجديد، ومنهم من يعوّض الأضحية بشراء 4كلغ كبدة، و4كلغ هبرة، ظانًّا منه أنّ القصد هو اللّحم، وكل هذا من تزيين الشّيطان لبني الإنسان، قال تعالى:

" الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿ 268 ﴾ " **سورة البقرة.**

احرصوا على صيام عرفة، فقد صحّ عند مسلمٍ عن أبي قتادة رضي الله عنه، سُئِلَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن صوم يوم عرفة، فقال: (**يُكَفِّرُ السَّنَةَ الماضية والسَّنَةَ القابلة**).

اللّهمّ أهدِنا فيمن هديْت، وعافِنا فيمن عافيْت، وقِنا شرّ ما قضيْت،

اللّهمّ لا تَدَعْ لنا في مَقامِنا هذا ذنبًا إلاّ غفرته، ولا دَيْــنــًا إلاّ قضيْته، ولا مريضًا إلاّ شفيْته، ولا حاجةً من حوائج الدّنيا أو الآخرة لك فيها رضًا ولنا فيها صلاحاً إلاّ قَضيْتها لنا ويَسَّرتَها لنا، يا أرحم الرّاحمين،

اللّهم إنّا نسألك فِعل الخَيْرات، وتَرْك المنكرات، وحُبّ المساكين، وإذا أردت بِقَوْمٍ فِتنةً، فتَوَفَّنا غير فاتنين ولامفتونين،

اللّهمّ إنّا نسألك حُبَّك وحبّ من أحبّك، وحبّ كلّ عملٍ يُقرِّبنا إلى حبّك،

اللّهمّ اجعل خير أعمالنا خواتمها، وخير أيّامنا يوم لِقاك،

اللّهمّ لا تأخذنا على حين غِرّةٍ، ولا على حين غفلةٍ،

اللّهمّ إنّك عفوٌّ تحبّ العفو فاعف عنّا،

اللّهمّ انصر الإسلام والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، واخذُل ودمِّر أعداء الدّين في مشارق الأرض ومغاربها،

اللّهمّ فرّج كربة ومحنة السّوريّين،

اللّهمّ فرّج كربة ومحنة المصريّين،

إنّك على كلّ شيءٍ قديرٌ، وبالإجابة جديرٌ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، تقبّل الله منّا ومنكم، غفر الله لنا ولكم، وكلّ عامٍ وأنتم بخيرٍ.